المناورة بالكتلة البشرية ليست مزحة

لم يسبق لحزب سياسي في قطاع غزة أن استطاع حشد جموع في الشارع السياسي كما استطاعت حماس في السنوات الماضية . إن شبكة المساجد في القطاع باتت منبعا لإطلاق أنهار من البشر الذين إذا تجمعوا لم تسعهم بحيرة واحدة مهما كان اتساعها . وربما كان لدى غير حماس من يستطيع حشد جموع في الشارع ولكن الفرق أن جماهير حماس أغزر وأصبر وأطوع في وقت واحد . ومن شهد مناسبات سابقة يعرف أن الكتلة البشرية التي نتحدث عنها عبارة عن طاقة من الصعب تقدير قوتها ومدى ما يمكن أن تفعله .

ويدهشني أن مختلف الجهات المعنية من حولنا ما زالت لا تصدق أو لا تتخيل ولا تُقدِّر ما تعنيه التصريحات المتكررة حول (الانفجار) الذي تنبأت به أو حذرت منه أو لوحت به . ولكن المواطن العادي في قطاع غزة من أمثالنا يفهمه وله أسبابه للمشاركة فيه وهو يجد العذر للناطقين به لأن البديل عنه هو انطفاء الجذوة بالتدريج والقضاء على مليون ونصف مليون فلسطيني . غالبيتهم ليس لهم انتماء فصائلي . ولا أحد يفكر فيهم أويشعر بآلامهم ومتاعبهم ما دامت أمريكا وإسرائيل لا تفعلان !

نار كبريتية للوثنيين

أكثر من ثلاثة آلاف زعيم من زعماء الطائفة الإفانجيلية في الولايات المتحدة وكندا افتتحوا في القدس يوم الجمعة الماضي مؤتمرا لهم لمناصرة إسرائيل ودعمها ضد الفلسطينين (وضد العرب والمسلمين إجمالا بطبيعة الحال) . وتقول صحيفة إسرائيلية إن هؤلاء المحسوبين على المسيحية هم الأعظم حبا

والأشد حماسا لإسرائيل في الدنيا كلها .. ويضيف الكاتب : إنهم يحبون إسرائيل ويدعمونها دون شروط ، وهم يشاركون اليمين الإسرائيلي معارضته إعادة المناطق إلى العرب ورفضه إقامة دولة فلسطينية ويتطابقون في ذلك مع غوش إيمونيم المنظمة الإستيطانية الأكثر تطرفا في الضفة الغربية.

والكاتب في الصحيفة الإسرائيلية يدعو جمهوره إلى مبادلة هؤلاء حبا بحب وعدم التشكك في أطروحاتهم ومواقفهم ومساعداتهم ، منوها إلى مثال من أمثلة ذلك التشكك والتحفظ عندما أرسل هؤلاء المفتونون بإسرائيل قبل بضع سنوات سترات واقية من الرصاص هدية منهم إلى المستجلبين اليهود في مغتصبة غوش قطيف بقطاع غزة فرفض حاخامو المغتصبة الهدية بحجة أن ذلك بمثابة (نشاط تبشيري مسيحي) !

هؤلاء الإيفانجيليون الأمريكيون والكنديون الذين يعقدون مؤتمرهم في القدس هم أصحاب فرقة أو طائفة يدعون أنها مسيحية ولكنها أقرب إلى اليهودية منها إلى المسيحية وأقرب إلى التلمود منها إلى التوراة . وهي طائفة أنشأها اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة لتجذير التوجه نحو حكومة يهودية عالمية . ودعمها ببنية اقتصادية لها تقوم على العديد من القنوات الفضائية ومحطات الإرسال ودور النشر وغيرها حتى صار قساوستها أصحاب ملايين واستطاع أحدهم أن يمول عملية استجلاب الفلاشا من إثيوبيا عبر السودان إلى إسرائيل وذلك في عهد ولاية جورج بوش الأب . ونجحت مجموعة كنيسة الأحد نجاحا كبيرا في أوساط شعب سطحي الثقافة والمعتقد حتى بلغ عدد أتباعها خمسين مليونا في أمريكا وحدها .

عدت أتذكر بالمناسبة كتابا هاما قرأته قبل عشر سنوات على الأقل وكتبت عنه مقالا قبل خمس سنوات . وعنوان الكتاب ((القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى)) لكاتبه الدكتور سفر الحوالي رحمه الله . وذلك الكتاب سبق أن ألقى أضواء كاشفة على (كنيسة الأحد) التي يدين لها جورج بوش ومجموعته من المحافظين الجدد في الحزب الجمهوري بالزعامة الدينية ، فمن قساوستهم أمثال بات روبرتسون من يقودون الصلاة الصباحية في البيت الأبيض ومنهم من يقود الصلوات في المناسبات الدينية في البنتاجون.

وتتلخص عقيدة هؤلاء المتصهينين في ضرورة الإعداد لعودة المسيح بتجميع اليهود في أرض فلسطين لكي تقع المعركة الفاصلة بقيادة المسيح في البقعة المحددة لها بسهل مجدو فتنهار حضارات وتفنى جيوش ويعم الدمار . فأما المسيح وأتباعه آنذاك فيرفعهم الله فوق السحاب . لملاقاة الرب في الهواء كما تقول الأسطورة . بينما يغرق أعداؤهم الوثنيون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت ويفسرها المتصهينون عصريا بأنها قنابل نووية يلقونها علينا نحن المسلمين .

ومن هنا نفهم أن شاغل مؤتمرهم حاليا لا يبعد أن يكون مرحلة من مراحل التهيئة لجمع اليهود أو استحضار المسيح أو تجهيز النار الكبريتية للفلسطينيين .

يجب أن ننوه للأخ خالد مشعل أن جيمي كارتر الذي قد يلقاه قال ذات مرة أيضا : لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين بأن علاقة الولايات المتحدة مع إسرائيل فريدة لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه . فنحن نتقاسم تراث التوراة ، وكل من أمريكا وإسرائيل أنشأها مهاجرون طليعيون (!) وقد جسد هؤلاء الرؤساء إيمانهم تجسيدا عمليا .

فهل ما زال كارتر على هذا المعتقد المعادي لشعبنا أم أن مواجهته بالشكوك والتحفظات من جانب الإسرائيليين وخشيتهم من نشاطه التبشيري حمله على التخفيف من غلوائه ؟

سؤال هام نأمل أن يتوصل مشعل إلى معرفة جوابه .

جنسية مصرية . غزية

ودعت غزة في الأسبوع الماضي شخصية من أعرق الوافدين إليها أصلا وأنبلهم نفسا وأوفاهم ذماما وأجلهم خدمة وأسخاهم عطاء يد وأشجعهم في مواقف الشجاعة والمروءة .

وإذا كانت فلسطين قد قرأت كلماتي بعيون غزة فقد عرفت أن تلك الشخصية الفريدة هي الدكتورة الراحلة الحاجة دلال محمد الرفاعي (أم سعيد) رحمها الله ، التي وصفها الدكتور رياض الزعنون وزير الصحة سابقا وخير من يحفظ المواقف ويعرف حقائق الناس وأقدارهم بأنها كانت جزءا لا يتجزأ من التاريخ الطبي الفلسطيني في قطاع غزة وأن على يديها شهد كثير من أطفال قطاع غزة النور . وقد كانت أول طبيبة مؤهلة في الولادة في هذا البلد ، ومارست عملها سواء في المستشفيات أو في العيادة أو في مركزها الخاص للتوليد بتفان تام .

جاءت بها القسمة والنصيب من القاهرة قرينة لواحد من الغزيين طلاب الطب .. يماثلها عراقة وطيبة ونبلا ووفاء .. هو الدكتور خيري سعيد أبو رمضان رحمه الله فتخرجا معا والتحقا على الفور بإدارة الصحة عام ١٩٥٤ ، وعملا في بادئ أمرهما معا في مستشفى ناصر بخانيونس ولم ينقطعا عن الخدمة ولا

اختارا غير معيشتهما في هذا البلد حتى قضى الله أن يدفن كل منهما في وقت مختلف في تراب غزة الصامدة .

في حياة الدكتورة القاهرية التي امتزجت حياتها بحياة مدينتها الثانية غزة شهدت ما شهده أهالي غزة في احتلالين إسرائيليين (عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧) وعانت ما عانوه وبرهنت على حس وطني عال بل وعلى جرأة وطنية في مواجهة المحتلين الذين كان احتكاكهم بالمسؤولين الطبيين حتميا وكانت الدكتورة دلال قد أصبحت مديرة أقسام التوليد في مستشفى الشفاء فكانت تستدعى مع غيرها من المدراء وتتلقى الإزعاجات والتهديدات بإباء وثبات .

وعندما شاءت الأقدار أن يمرض قرينها الدكتور خيري مرضه الأخير ولم يوافق على المكوث في المستشفيات داخل الخط الأخضر لأنه على حد قوله (يريد أن يسمع الأذان ويتلقى التمريض في البيت) فإن الدكتورة دلال تحولت إلى ممرضة حانية تسهر على رعاية الزوج الحبيب وتبذل له العناية والرعاية الصحية الكاملة .

وحقا كانت الدكتورة دلال الرفاعي إنسانة كبيرة وطبيبة بارعة وفلسطينية بالاختيار وبالوفاء للمعنى وللرسالة وللعطاء الذي بذلته دون حد لصالح البلد والناس . ولن أنسى ما حييت كيف أسرعت للوقوف بجانبي عندما كنت مصابا في المستشفى يوم ٦ حزيران وكيف يسرت طريق خروجي والأخ محمد أبو مهادي (النقيب آنذاك) من المستشفى بعد أن وقعت المدينة تحت الاحتلال ووصلت دبابات الاحتلال إلى باب المستشفى .

رحمها الله وبارك في أبنائها . وعزاء أهلها بيت الرفاعي في مصر أنهم أوفدوا إلى غزة ابنة بطلة ساهمت في تحمل قسط من مسؤولية الرباط في هذه

الأرض بالنيابة عن الأمة كلها . وقضت وهي ملء السمع والبصر وأنشودة الأفواه التي تتغنى بها طبيبة وأما وزوجة وإنسانة تمثل عطاء موطنها .

من وحي الأسبوع

* كلما وصل عميل أمريكي إلى السلطة في بلد عربي اتسم موقفه فورا باضطهاد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في ذلك البلد . كأنه يبرهن بذلك على ولائه لأسياده ويزكي نفسه عندهم . وهكذا نفهم ما يجري للاجئين الفلسطينيين اليوم في العراق الشقيق الذي اشتهر من قبل بحسن معاملته للفلسطينيين .

* لا حاجة لمقتدى الصدر ولتياره الصدري في العراق بفتوى تبين له التصرف الواجب حيال قوات الاحتلال .. وسيكون مقتدى رجل التاريخ إذا ضم جهود مقاتليه إلى جهود إخوانهم المقاومين السنة . إن ذلك سيحسم المعركة ! وذلك سيكفر الخطايا ! وذلك سيعيد اللحمة عمليا بين عناصر العراقيين ! وذلك هو الموقف الوحيد الذي ينسجم مع شعارات مقتدى : شعار رحيل الاحتلال وشعار معارضة تقسيم العراق وشعار أخوة العراقيين جميعا .

* لا أعرف هل عصابة المحافظين الجدد المتصهينين التي تقود الحزب الجمهوري بأمريكا هم أساتذة بيبي نتنياهو أم أن نتنياهو هو أستاذهم . فهم وإياه يتكلمون كلاما متطابقا . و (الروح الحاقدة على العرب والعروبة والإسلام والمسلمين) روح واحدة تنطلق من نفس خبيثة واحدة .

دمعة

(أغضبتم المتفرجين)

عن أَيّ فصلٍ تفتحونَ ستارةً
هَزُلَتْ على جَنَباتِها الأَبْطالُ
مِن كُلِّ ذي وجهٍ نُحاسِيٍّ وذي
صدرٍ يُطَبِّلُ فوقَهُ الطبَّالُ
يَحْشو المُلَقِّنُ جَوْفَهمْ فإذا بِهِمْ
خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ لها أقوالُ
أَغْضَبْتُمُ المتفرجينَ وخَيَّمَتْ
سُحُبُ الكآبةِ واستحالَ الحالُ
لَمْ تُنْصِفوا أفهامَهمْ فَكَأنهمْ
في ظنِّكُمْ وحِسابِكم أطفالُ

بسمة

(فصول تمر)

خَلُّوا الفُصولَ تَمُرُّ إنَّ مُرورَها
كَشَفَ الذينَ تَقَنَّعوا واحْتَالوا
فَلْيَخْرُجُوا للضَّوْءِ حتَّى يَنتهي
دجَلُ الحُواةِ ويُعْرَفَ الدَجَّالُ
وتَسيحَ أصْباغُ الوجوهِ فربَّما
فَطِنَتْ لِهذي العِبْرَةِ الأجيالُ
إنَّ الشُّخوصَ وإنْ تَطاولَ عَهْدُها

أبداً تَزولُ كما يَزولُ خيالُ
والشعبُ يصنعُ فوقَ أرضِ بِلادِهِ
غَدَهُ الذي تَهفو لَهُ الآمالُ